المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٦ صفر سنة ١٣٢٣

اقزام افريقية

نشرنا منذ خمس عشرة سنة مقالة موضوعها اقزام الاوائل والاواخر على اثر مجيء الرحالة ستانلي الى هذا القطر وذكره الاقزام الذين لقيهم في قلب افريقية. وذكرنا في تلك المقالة اموراً لاباس باعادة نشرها الآن تمهيداً لما سنذكرهُ من وصف هؤلاء الاقزام بعد ما وصلت جماعة منهم الى القاهرة وهي

زعم المتقدمون ان في الناس جيلاً قصير القامة جداً وان البجع كانت تهاجمهُ وتنخن فيهِ والى ذلك اشار هوميروس الشاعر اليوناني في الكتاب الثالث من الالياذة حيث قال ما ترجمتهُ

اذا ما الثلج غطّى وجه ارضٍ ... وجاءت ديمةٌ من بعد اخرى
مضى البجعُ المقيم الى بلادٍ ... يرى فيها بديل البرد حرّا
وقاتل من اهاليها قزامى ... وعوّضهم من الغبراء قبرا

واشار كثيرون من الكتّاب القدماء الى حروب الاقزام والبجع وصوّروهم على النقوش وهم يحاربونها. اما ارسطو وهيرودوتس وبليني وكتسياس وغيرهم فذكروا الاقزام ذكراً خالياً من المبالغات الشعرية وقال ارسطو انهم يسكنون افريقية قرب مصادر النيل وقال كتسياس انهم في قلب بلاد الهند واثبت هيرودوتس ما اشار اليهِ ارسطو وهذه ترجمة كلامهِ

"لقد سمعتُ من بعض اهالي سيريني ما ساقصهُ الآن وهو انهُ حدث مرةً انهم انوا لزيارة هيكل امون ودار الحديث مع اتيرخس الملك الاموني على النيل وكيف لم تزل مصادرهُ مجهولة فذكر اتيرخس ان نفراً من النسامونيين جاءوا بلاطهُ مرة ولما سئلوا عن غير المعمور من ليبية قالوا ان النسامونيين شعب ليبي يسكن السرتس وهي بلاد غير واسعة الى جهة المشرق

وانهُ ربي بينهم رجال وحشيون وهم اولاد بعض الروساء قيل بلغوا مبلغ الرجال افرطوا في امور كثيرة وفي جملة ما فعلوهُ انهم اقترعوا على خمسة منهم ليذهبوا ويرودوا قفار ليبية ويجاوزوا الاينال فيها الى حيث لم يبلغ احد قبلهم فذهبوا لهذا الغرض ومعهم كثير من الماء والزاد وقطعوا العمور اولاً ثم دخلوا القفار واوغلوا فيها من الشرق الى المغرب. وبعد ان ساروا في الصحراء اياماً كثيرة وصلوا الى سهل فيهِ اشجار يانعة فدنوا منها وجعلوا يقطفون من ثمرها واذا برجال اقزام قد وقعوا عليهم واخذوهم اسرى ولا يستطيع السامونيون ان يفهموا كلمة من لسانهم ولا هم من لسان السامونيين . وبعد ان ساروا بهم في مروج فسيحة وصلوا الى مدينة سكانها كلهم من الاقزام وهم زنوج في الوانهم وبجانب المدينة نهر عظيم يجري من الغرب الى الشرق وفيهِ تماسيح "انتهى

وقد ارتاب العلماء اولاً في صحة رواية هيرودوتس وزعموا انهُ اراد بهؤلاء الاقزام طوائف القرود اما الآن وقد ثبت وجود الاقزام في قلب افريقية فلم يبقَ محل للريب في روايتهِ

وقد بحث ده كاترفاج العلامة الفرنسوي في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً ونظر في كل ما يروى عن اقزام افريقية واقزام الهند واستنتج من ذلك ان الكتّاب الاقدمين اشاروا في ما ذكروهُ الى اقوام موجودين حقيقة ولم يزالوا موجودين الى يومنا هذا فعنوا باقزام افريقية الاقزام الذين اشرنا اليهم هنا وباقزام الهند جيلاً من الناس يسكن جزائر اندمان وهي في خليج بنغالا بين الدرجة العاشرة والرابعة عشرة من العرض الشمالي وفي طول ٩٣ درجة شرقي غرينج . ومع قرب هذه الجزائر من بلاد الهند ووقوعها في طريق السفن الذاهبة الى الهند الاقصى ومع ارتياد الاوربيين كل خضراء وغبراء وتطلبهم المكاسب من كل جزيرة من جزائر المحيط لم يهتموا بامر هذه الجزائر حتى سنة ١٨٥٨ وما ذلك الاَّ لما كانوا يجدونهُ من الشراسة في اخلاق اهاليها ولعل سبب شراسة الاهالي وتنورهم من الغرباء حادث عمَّا كانوا يلاقونهُ من الصينيين والملقيين الذين كانوا يصطادونهم صيد الوحوش ليستعبدوهم

ولما اخمد الانكليز ثورة الهنود سنة ١٨٥٨ وقبضوا على المذنبين لينفوهم الى بلاد اخرى استولوا على هذه الجزائر وتنوهم اليها وللحال اخذ احد العلماء وهو ادورد مان في البحث عن اخلاق الاهالي وطبائعهم وعوائدهم وصنائعهم وتقاليدهم ولغتهم وألف كتاباً مسهباً في ذلك اصلح فيهِ خطأ الذين سبقوهُ من مؤلفي العرب والافرنج

ويستفاد من كتابهِ ان اهالي هذه الجزائر تسع قبائل مختلفة يرجعون كلهم الى اصل واحد وقد قاس طول ٤٨ رجلاً و٤١ امرأة منهم فوجد متوسط طول الرجل اربع اقدام وعشرا

عقد وثلاثة ارباع العقدة ومتوسط طول المرأة اربع اقدام وتسع عقد وربع عقدة . وشعرهم كث مفلفل ولونهم اسود ورؤوسهم مستديرة واسنانهم كبيرة وبروز فكهم غير كثير وهيئة الزنوج الخاصة غير ظاهرة فيهم تمام الظهور ولكن تركيب ابدانهم مثل تركيب ابدان الزنوج في نسبة عظامهم بعضها الى بعض . وكانوا يسكنون خصاصاً مبنية من اغصان الاشجار واوراقها ولم يكونوا يعرفون شيئاً من امر الفلاحة ولا كان عندهم شيء من الماشية وآنيتهم كلها من الخزف يعملونها بايديهم بدون دولاب ويجففونها بالشمس او يشوونها قليلاً بالنار ولا يستعملون جلود الحيوانات وعندهم قوارب صغيرة يصنعونها من الاشجار المنقورة . وهم ماهرون في السباحة والغوص ويستعملون النار ولكنهم لا يعرفون كيفية ايرائها فيحافظون عليها لكي لا تنطفئ . ولا يعرفون شيئاً من امر المعادن فيستعيضون عنها بالاصداف والصوان ويصنعون من الياف الاشجار خيوطاً وسلالاً وشباكاً وسلاحهم القوس والسهم وليس عندهم تروس ولا دروع ولا شيء من ادوات الدفاع . والارض خصبة تكثر فيها البقول والاثمار والجذور ويكثر الخنزير وغيره من الحيوانات الصغيرة فيجدون فيها وفي البحار كفافهم من الطعام . ويطبخون طعامهم ويأكلونه سخناً . وقبل دخول الاوربيين بلادهم لم يكونوا يشربون الا الماء القراح . اما الآن فتعلقوا على المسكرات والرجل منهم يتزوج بامرأة واحدة يعيش معها حتى الممات ويكرمها غاية الاكرام ولا يعرفون اكل البشر ولا قتل الاطفال

وقد ظهر للسيو ده كاترفاج بعد البحث الطويل ان هذا الشعب كان منتشراً في الهند نفسها وعنده ان سكان الهند الاصليين هم من هذا الشعب وقد انقرضوا من امام الجنس الآري ولم يبق منهم الا النزر القليل كما انقرضوا من بعض الجزائر او امتزجوا بالجنس الملقي والمغولي وذلك يوافق من اكثر الوجوه ما ذهب اليه ونشل العالم الاميركي وفي راي السيو ده كاترفاج ان هؤلاء الاقوام هم اقزام اسيا الذين ذكرهم كتسياس وبليني وس وغيرهما من الاقدمين

اما اقزام افريقية الذين ذكرهم هوميروس وهيرودوتس وارسطو فاول من اشار اليهم من المتأخرين اندرو بتل الذي اسره البرتغاليون وارسلوه الى قلب افريقية فاقام فيها ثماني عشرة سنة من سنة ١٥٨٦ الى سنة ١٦٠٤ للميلاد . فقد قال انه رأى فيها جيلاً من الناس لا يزيد طول الواحد منهم عن طول ولد عمره اثنتا عشرة سنة . ثم ذكر هذا الجيل كثيرون من الذين رادوا افريقية الى يومنا هذا وآخر من رآه ووصفه ولقوله وقع عظيم عند العلماء الدكتور شوينفرث وميانى وامين باشا . اما الدكتور شوينفرث فاوغل في قلب افريقية سنة

١٨٧٠ وبلغ بلاد ملك منبتو ورأى هؤلاء الاقزام في بلاطه وبلادهم الى الجنوب الغربي من بلاده حيث العرض ٣° شمالاً والطول ٢٥° شرقاً وهم داخلون في حماه وعيشتهم من الصيد واسلحتهم القسي والسهام فاخذ واحداً منهم عازماً ان يأتي به الى اوربا فمات في بربر. وحرقت جميع اوراق شوينفورث فما كتبهُ عنهم بعدئذٍ اعتمد فيهِ على ذاكرتهِ

اما ميافي فانتقى خطوات شوينفورث الى بلاد المنبتو واتى منها باثنين من هؤلاء الاقزام ومات في اثناء الطريق ووصل القزمان الى ايطاليا وعرضا على الملك والملكة ثم اعطيا لكرنت متسكشي فعاشا في بيتهِ ومات احدهما سنة ١٨٨٣.

اما امين باشا فدخل بلاد المنبتو ورأى الاقزام فيها واخذ واحداً منهم ووصفهم وصفاً مدققاً وارسل هيكلين من عظامهم الى بلاد الانكليز وهما هيكل رجل وهيكل امرأة فتفحصهما الاستاذ فلوَر وقاسهما بالتدقيق فوجد طول هيكل المرأة اربع اقدام تماماً وطول هيكل الرجل اربع اقدام الاَّ ربع عقدة فاذا اضيف اليهما ثخن جلد الرأس وجلد القدم كان طول الرجل اربع اقدام وربع عقدة وطول المرأة اربع اقدام ونصف عقدة ويظهر من عظامهما انها متناسبة تناسبها في بقية الناس الكاملين الخلق فهي ليست مثل عظام الاقزام الذين تزمهم عن تشوُّه خلقي او صناعي ولذلك فهؤلاء الناس قصار القامة صغار الجسم طبعاً

وخلاصة ما ذكرهُ الاستاذ دوكاترفاج والاستاذ فلوَر والسياح الذين طافوا افريقية ان فيها قبائل على خط الاستواء منتشرين من غربيها الى شرقيها وهم صغار الجسم قصار القامة متوسط طولهم نحو اربع اقدام فقط وفي قياس امين باشا اقل من ذلك. ومن المظنون ان هؤلاء الاقوام سكنوا افريقية قبل غيرهم ثم جاء الزنوج اليها ففروا من وجوههم الى ان انحصروا في قلب افريقية ولم تزل شرذمات منهم في جهات مختلفة ولا يبعد انهم هم الاقزام الذي اشار اليهم هيرودوتس وانهم هم اقزام المشرق من اصل واحد وان منهم اكثر الاقزام الذين كان الملوك والعظماء يباهون بهم . انتهى

ولما وصل ستانلي الى باريس بعد مجيئهِ الى مصر كما تقدم قابلهُ مكاتب جريدة الانديندنس بلج ودار الحديث بينهما على الاقزام الذين لقيهم ستانلي في حرجة ارويمي فقال " ان هؤلاء الاقزام هم الذين اشار اليهم هيرودتس المؤرخ الشهير واثبت وجودهم منذ ٢٤٠٠ سنة . وقد لقيناهم وتحببنا اليهم فانسوا بنا واحبونا كثيراً ورافقنا عدد منهم مدة اربعة اشهر ونصف وكانوا يذهبون معنا حيث ذهبنا ولا يتعرفنا من تفحص اجسامهم ودرس تركيبهم وقد ثبت لنا انهم كانوا يسكنون تلك الانحاء منذ خمسين قرناً واستدللنا على قدميتهم من عزة

الاقزام الاربعة مع الكولونيل هريسن على ما هو مذكور في المقالة ادناه

صورة رجل من الپيگم بيد مستولة عن تصوير فوتوغرافية انظر صفحة ٣٠٦

نفوسهم وانفتهم وكرم اخلاقهم. وهم على رغم تفرقهم وانتشارهم في تلك الفلوات الشاسعة مرتبطون بنظام سياسي واجتماعي يشف عن وحدة اصلهم وتقاليدهم الشريفة ولهم ملكة جمعت بين اللطف والذكاء وهي التي كانت واسطة التقرب والائتلاف بين حملتنا وقومها في بدء اجتماعنا بهم

اما لون القزم فاشبه بلون الزيتون واما اجسامهم فمتناسبة الاعضاء ولقد كانوا يأنسون بنا وينفرون من الزنجباريين الذين كانوا معنا وكثيراً ما كانوا يرشقونهم بنبالهم المسمومة حين كانوا يبتعدون عنا . وحدث مرة انني ارسلت طليعة من الزنجباريين ليستطلعوا طلع ساقة الجيش فقتلوا واحداً وعشرين منهم. قال وقد حاولت ان اجلب معي بعضاً منهم ولكنني لم اتمكن من ذلك لان هواء السهول في البلاد الحارة لا يوافق مزاجهم فلم يخرجوا مرة من حرجاتهم الرطبة الاَّ اصابتهم الحمى وماتوا على الاثر . وهكذا قضى كلُّ الذين حاولت احضارهم معي على الطريق ولم يصل احد منهم الى الساحل . وارادت الملكة ان ترافقنا الى الولايات التي يسكنها البيض الذين كنا نحدثها عنهم فما وصلت الى خارج الغاب حتى اعياها المرض فاضطرت الى العدول عن عزمها . ثم اثنى على مهارتهم وصناعتهم الفائقة الوصف في عمل الحراب وقال انهم حاصلون على كلّ ما يحتاجون اليهِ من الادوات الحديدية . فسألهُ المكاتب ومن اين لهم الحديد فقال ان المعادن كثيرة في مجاري المياه الجارية في تلك الغابة ولا سيما النحاس . ثم استطرد الى مدح آدابهم وقال انهم يفوقون جميع اهالي تلك الانحاء المعتدلي القامة "

وفي الحادي عشر من هذا الشهر (ابريل) وصل رحّالة انكليزي اسمهُ الكولونل هريسن الى الخرطوم ومعهُ ستة من هؤلاء الاقزام فقابلهُ مدير مطبعتنا فيها وكتب في جريدة السودان الصادرة في ١٣ ابريل ما نصهُ

"عاد الكولونل هريسن الى الخرطوم قادماً من بلاد الكنغو حيث ذهب للبحث عن الاقزام في غابة الاقزام المعروفة بغابة ايتوري او غابة ستنلي وصيد الحيوان النادر المسمى " اوكابي " في تلك الغابة ايضاً وقد جلب الكولونل معهُ ستة من الاقزام اربعة رجال وامرأتين اعمارهم بين ١٨ سنة و٣٤ سنة

وقد قابلنا الكولونل هريسن فأخبرنا ان هؤلاء الاقزام يقطنون ضواحي الغابة المعروفة باسمهم وهم ذوو بأس ونجدة ويختلف طول البالغين منهم من ٣ اقدام و٨ بوصات الى اربع اقدام وكان الشائع قبلاً ان اجسام الاقزام مكسوة بالشعر استناداً لما رواهُ السر هري جنستن ولكن الكولونل هريسن يقول ان معظمهم خالٍ من الشعر في ابدانهم ما خلا الصدر والساقين . ولا يدخل الاقزام الى قلب الغابة الاَّ اذا ارتكبوا جريمة او اقترفوا ذنباً

وهم في الغالب مسالمون وقد استقبلوا الكولونل هريسن بالترحيب بعد ان انسوا اليه وقبل عودته باسبوع شجم بعضهم على قافلة من قوافل الحكومة فقتلوا ١٧ حمالاً وفروا الى داخل الغابة وقد ان لمت حكومة الكنغو بعض جنودها لمعاقبتهم

ويقضي الالتزام قرى تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة ليست بطويلة ولكل قرية شيخ مستقل يتولى شؤونها . وبيوتهم خيام غطاؤها اوراق الشجر وهي في الغالب واطئة

وقد جاء الالتزام الستة مع الكولونل هريسن باختيارهم ووعدهم ان يعيدهم الى اوطانهم ولكنهُ يظن انهم يفضلون البقاء في انكلترا على العودة "

وما وصل بهم الى مصر حتى ارسلت الحكومة الانكليزية تسأل عن غرضه من جلبهم الى بلادها وكأنها تريد منعهُ من ذلك الاَّ اذا علمت انهم آتون برضاهم واختيارهم وان يرد انكلترا لا يضرُّ بهم . فتركهم في القاهرة وسافر الى البلاد الانكليزية . وتجد في صدر هذه المقالة صورة الرجال منهم مع الكولونل هريسن . واصغرهم قدًّا فتى عمرهُ نحو ١٨ سنة وهو ترجمانهم لانهُ يعرف اللغة السواحلية فوق لغته

العقارب المصرية

طالما نذَّد المنددون بان الانكليز لم يعضدوا البحث العلمي كما عضدهُ الفرنسويون وقتما احتلوا مصر . وقد ردَّ عليهم اللورد كرومر في تقريره الاخير قائلاً ان الانكليز اهتموا بالحاجيات اولاً فاصلحوا مالية البلاد ثم التفتوا الآن الى هذه الكماليات وبيَّن الوجوه التي عضدوا بها البحث العلمي

واماما الآن تقرير مسهب من مدرسة الطب المصرية عما تمَّ فيها من البحث العلمي في غضون السنة الماضية . ومنصفهُ في باب تقريظ الكتب ونقتصر الآن على اقتطاف بعض الحقائق من مقالة فيه عن العقارب رسمها للدكتور ولسن استاذ الفسيولوجيا فيها

قال في مقدمة هذا الفصل ان العقارب الشائعة في القطر المصري يمكن ردها الى ثلاثة انواع النوع الاول الخماسي المفاصل وهو اصفر رملي يكثر في الصعيد وهو اسمُّ العقارب المصرية . والثاني الليموني ويكثر في القاهرة وفي جوار الاسكندرية . والثالث المراكشي وهو اسود ويكثر في مربوط الى الغرب من الاسكندرية

وبعد بحث طويل استغرق وصفهُ نحو اربعين صفحة كبيرة وصل المؤلف الى النتائج التالية وهي